

١٠ أشياء تحتاج أن تعرفها عن الألم

بقلم ديف فرمان



١. الألم هو من نتائج السقوط:

لقد حذر الله آدم أن الأكل من الثمار المُحرَّمة سيتسبب في الموت (تكوين ٢). وتؤكد رسالة رومية ٥: ١٢ أن هذا ما حدث بعد سقوط آدم "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَارَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ". لقد جاء الموت (وما صحبه من ألم ومعاناة) نتيجة للخطية الأولى والخطايا التي نرتكبها باستمرار. فالموت والألم والمعاناة ليست - في حد ذاتها - خيراً.

٢. يستخدم الله الألم للخير:

لكننا نشكر الله أن رسالة رومية ٨ تقول لنا: "أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ". لا يقول الله أبداً أن ألماً خيراً، لكنه يستخدم الألم ليعمل لخيرنا بطريقته المعجزية السريّة.

وإحدى طرق استخدام الله للألم هي ليوقظنا ويحضرننا لنفسه. إننا قد نميل في أوقات التجربة إلى أن نهرب من الله، أو أن نغضب منه، أو أن نعمل إلهاً من وسائل راحة العالم. وحسناً قال تشارلز سبرجن، عندما حدثنا أن نلتفت إلى الله في ألماً: "لقد تعلّمتُ أن أُقبِلَ العاصفة التي تُلقيني على صخر الدهور". نحتاج أن ندرك أن الله متحكم في كل ظروفنا... وأنه هو صالح. نحتاج أن نفتح عيوننا ونرى أن ظروفنا تأخذنا مباشرة إلى الله.

٣. لا نستطيع أن نرى دائماً ما يفعله الله في المنّا:

كتب أوغسطينوس عن الله والظروف قائلاً: "إن فهمت، فأنت لم تفهم الله". إننا بالكاد نفهم ما في أعمال الله من تصميم وإبداع وحكمة. مَنْ يقدر أن يشير عليه أو أن ينتقد عمله؟ يقول سفر الأمثال ١٦: ٤ "إِنَّ الرَّبَّ صَنَعَ الْكُلَّ لِعَرَضِهِ". يمكننا أن نثق أن الله قادر أن يصنع دائماً أكثر مما نفتكر.

٤. يستخدم الله الألم لنضج في المسيح:

تقول رسالة يعقوب ١ "إِحْسَبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ". يمكننا أن نحسب التجارب فرحاً لأن الله يحفظ إيماننا، ويجعلنا أكثر شبهاً بالمسيح، وهذا ربح دائماً.

٥. نستطيع تعزية المتألمين من خلال صبرنا في الألم:

يَمُرُّ بنا الله في الألم لكي نستطيع أن نعزي غيرنا من يتألمون. تقول رسالة ٢ كورنثوس ١: ٣-٤: "مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَالْإِلَهُ كُلِّ تَعَزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِينَا فِي كُلِّ ضَيْقَاتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضَيْقَةٍ بِالتَّعَزِيَةِ الَّتِي نَتَّعَزَى بِهَا مِنْ اللَّهِ". إن أفضل من يحملون الأثقال هم من سبق واحتاجوا من يحمل أثقالهم.

٦. يفتح أمامنا الألم فرصاً للخدمة لم نكن نحلم بها:

لم أكن أعلم، وأنا أنمو صحيح البدن، أن تشجيع المتألمين ومعونة من يراعونهم سيكونان جزءاً من حياتي وخدمتي. فأنا في ألمٍ دائمٍ إذ أختبر كل يوم شعوراً مُحْرِقاً وألماً حاداً في كلا ذراعيّ. لا أستطيع أن أضع حزام الأمان، ولا أن أفتح زجاجة ماء، أو أن أزر قميصي أو أن أصافح أصدقائي. وقد بدأت، في العامين الماضيين، أشعر ببداية أعراض مشابهة في ساقِي. في بعض الأيام يكون الألم مبرحاً، وفي أغلب الليالي أصارع لكي أنام، وقد اجتاحني الاكتئابُ أكثر من مرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن نعمة الله تُرى في النور الساطع الذي يشرق من الفُرص التي أعطاها لي لتشجيع الآخرين. لقد منحني نعمة أن أرمي من ضعفٍ وأن أشهد للآخرين عن محبته التي لا تكل. لم أكن أبداً من ذاتي سأختار خدمةً مثل هذه ولا كنت أحلم بها - لقد صنع الربُّ عجباً.

٧. الله يعمل من خلال الضعف والألم وليس رغباً عنهما:

تُعلّم المسيحية أن الهدف ليس هو القضاء على الألم والضعف (في هذه الحياة)، بل أن يعمل الله فيك ومن خلالك في ألمك. كانت لبولس شوكة في الجسد، وقد طلب من الرب عدة مرات أن يرفعها لكنها بقيت. إن المرء ليتساءل أي خدمة مدهشة كانت ستكون لبولس بدون شوكته. إلا أن الله لم يستخدم بولس بالرغم من شوكته، بل من خلال شوكته. فالله لا يعمل رغباً عن الألم، بل من خلال الألم. إن الضعف هو الطريقة التي يعمل الله بها في هذا العالم.

٨. يختلف منظورنا الأرضي كثيراً عن منظور الله لمدة الألم:

بني نوح فلغاً وانتظر طوفاناً. وانتظر إبراهيم وسارة طفلاً لسنوات. وظل يوسف لسنوات في السجن. وهام موسى في البرية أربعين عاماً. وبكت حنة بصورة مستمرة من أجل طفل. وهرب داود من الملك الشرير لثلاثة عشر عاماً. وكرز إرميا "النبي الباكي" ولم يرَ ثمرًا لعقود. وواجه بولس السجن مرة بعد مرة. تعطينا رسالة ٢ كورنثوس ٤: ١٧ منظوراً صحياً للصبر في التجارب: "لأنَّ خِفَّةَ ضَيْقَاتِنَا الْوَقْتِيَّةِ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلٍ مَجْدٍ أَبَدِيًّا".

٩. يمكن للألم أن يدفعنا إلى جماعة المؤمنين:

جعلني ألمي أعتمد على جماعة المؤمنين للمعونة والخدمة والتشجيع والصلاة. وعلى الرغم من طلب المعونة يجعلنا نتضع، إلا أنه يضيف لنا صداقات، وأذكر هنا كل المرات التي أخذني فيها أصدقائي كريس وسكوت في سياراتهم، وأذكر تشجيع جلين، ومكالمات جون من الطرف الآخر للعالم، ورسائل دارين وكيرون. عندما نقاوم رغبتنا الملحة في الانعزال فإن الله يباركنا بجلاوة الشَّرِكة.

١٠. لدى المسيحية الحل الوحيد للألم:

لدى كل الديانات الأخرى طرق غير ناجحة للتعامل مع الألم والمعاناة والتغلب عليهما. فبعضها يقدم خطأ للهروب من واقع الألم، وبعضها يعلم كيفية إرضاء الآلهة، وبعضها يعرض فلسفات الكارما، وبعضها يركّز على العمل مقابل الفردوس - وهو مكان بلا ألم وبه متعة لا تنتهي.

لكنّ المسيحية وحدها تعطي رجاءً حقيقياً للمتألمين. إن الألم والموت محتومان لنا جميعاً، إلا أنه يمكن أن يكون لنا رجاء لأن هناك واحداً دخل في الموت قبلنا. يسوع المسيح، إلهاً حقيقياً وإنساناً حقيقياً، عاش حياة بلا خطية في محلنا. وواجه مختلف أنواع الغواية والتجارب - خيانة أقرب الناس له، والهُزء، والألم النفسي، والعذاب الجسدي، وفوقها جميعاً دينونة الله الأب.

عندما ارتفع يسوع على الصليب حاملاً ثقل خطايا شعبه، لم يجابه فقط أسوأ ميته أرضية ممكنة (والتي كانت تُنزل فقط بأردأ المجرمين)، بل احتمال فيض كأس غضب الله. إلا أن القصة لا تنتهي بموت يسوع. لقد خرج من القبر بعدها بثلاثة أيام؛ لقد قام يسوع من الموت. إن قيامة المسيح تعني أن المنا وتجاربنا وحتى موتنا ليست هي نهاية القصة.

تم ترجمة هذه المقالة بعد الحصول على الإذن من مؤسسة (Crossway).